الظاهرة الغريبة في اللغة العربية: مخالفة العدد والمعدود جنسا من ٣ الي ١٠؛ تحليل و تعليل

الدكتور جواد اصغري

استاذ مشارك بجامعة طهران

jasghari@ut.ac.ir

الدكتورة زهرا فريد

استاذ مساعد بجامعة الزهراء

z.farid@alzahra.ac.ir

The strange phenomenon in the Arabic language: violation of the number and the number of sexes from 3 to 10; analysis and explanation

Doctor
Jawad Asgari Associate Professor at Tehran University
Doctor
Zahra Farid Assistant Professor at Zahra University

الخلاصه

لابدّ لنا في بداية هذا البحث أن نشير الي آراء النحويين القدامي حول ظاهرة اختلاف الجنس بين العدد و المعدود من ٣ الي ١٠ في اللغة العربية و تسويغهم هذه الظاهرة، ثم نستعرض الاسباب الحقيقية لهذه الظاهرة اللغوية المثير للإعجاب مبينين انه لم يقدّم تسويغ مقنع لها حتي الآن. ومن خلال هذا البحث المتواضع تناولنا تاريخ اللغة الغربية و علاقتها باللغة الآرامية و السريانية و اشرنا علي نحو موجز الي كيفية اخذ الخط العربي من السريانية و الاحداث التاريخية المرتبطة بها ثمّ بينّا أن الاشكالية التي نحن بصدد الاجابة عنها، تتجذّر في الخط الآرامي و لا يمكن اعتبار «ة» في معدودات الاعداد ٣ الي ١٠ علامة التانيث. و هذا البحث من شأنه ان يكون بداية للتحول في النظرة الي الظواهر النحوية العديمة النظير في اللغة العربية.

الكلمات المفتاحية: العدد و المعدود، جنس العدد و المعدود٣ الي ١٠، الظواهر اللغوية، الآرامية و العربية

Abstract

In this article, first note to the views of the old Arab grammarians about the antibiosis between the number and enumerated (3 to 10) in gender in Arabic and their justification about this phenomenon. Then we looked over the real causes of this linguistic fantastic phenomenon explaining that there are no convincing reasons for it. In this regard, we touched on the history of Arabic language and its relation to Aramaic and Syriac. Also we rendered summery comments about the manner of creating or forming the Arabic writing based on Syriac writing, and the historical events that related to it. So we proved that the answer of this old question lies in Aramaic language and it is not possible to consider the ة in enumerated of numbers 3 to 10 as female sign. Thus this paper would be the beginning point for revolution in looking at the unique syntax phenomenon in Arabic language.

Keywords: Number, Enumerated, Gender of Enumerated, Language Phenomenon, Aramaic, Arabic.

المقدمة و الإشكالية

تعدّ قضية العدد و تطابقه و المعدود من حيث الاعراب و الجنس من أعقد القضايا اللغوية و اكثرها غموضا في اللغة العربية علي الاقل. و كيفية مجئ المعدود مع العدد من الواحد و الاثنين و مرورا بـ ٣ حتي ١٠ و مع ١١و ١٢ حتي ١٣ الي ١٩ وصولا الي اعداد العقود يعدّ من الظواهر العديمة النظير بين الظواهر اللغوية العالمية و قضية معقدة و مدهشة في اللغة العربية. و الاشكالية التي لم تنحل بعد في قضية العدد هي ما سبب الاختلاف بين جنس العدد و المعدود من ٣ الي ١٠؟ فكما نعلم أن ظاهرة التانيث و التذكير توجد في كثير من اللغات، بل غالبيتها و لايخفي عن أصحاب العلم أن ظاهرة التانيث موجودة مثلا في الانجليزية و الفرنسية و الآلمانية و غيرها، بيد اننا لا نري الاختلاف في تطابق الجنس بين النعت والمنعوت، و العدد والمعدود. فكيف و لأي سبب وقعت هذه الظاهرة المتفردة في اللغة العربية؟ هذا هو السؤال الذي نحن نسعي للإجابة عنه، و نري ان النحاة، القدامي منهم و الجدد، كانوا غير مقنعين في تفسير هذه الظاهرة اللغوية فإنهم إما قدموا تسويغات غير مُرضية او قاموا بوصفها فقط من غير تحليل او تعليل. بيد اننا نري ان هذه الظاهرة لاترتبط بالجنس بل تتجذّر في قضية الخط و نقل الخط الآرامي و السرياني الي العرب. بمعني أن العرب كان ينطق بالعدد دون التفكير حول جنسه لكن النحاة القدامي عندما قاموا بضبطه و تدوين قواعده حكموا بانه مذكر هنا او مونث هناك، الا اننا اذاما راجعنا الي اللغات السامية، والآرامية منها خاصة، نجد أن هذا الرأي يختلف و الواقع اللغوي. فالمنهجية التي نتبعها للوصول الي هذا الهدف و بيان و ما جري بالنسبة الي اللغة العربية و الخط العربي ذات

اهمية وافرة. ففي البداية لابد لنا من أن نتطرق الي الخط العربي و كيفية نقله من الآرامية الي العربية ثم نبين كيف اثّر الخط الآرامي علي تكوين هذه القاعدة الصرفية.

خلفية البحث

قد ذكر ابن الانباري هذه القضية و بين جوانبها و اسبابها و كشف عن اسباب و عوامل يهتمّ بها النحاة القدامي لكن لاترتبط بالقضايا اللسانية بل هي تسويغات و إجابات يستحسنها هو بوصفه نحويا يتفكر علي اساس المنطق الارسطي لا الواقع اللغوي. اذ يقول: «إن قال قائل لم أدخلت الهاء من الثلاثة الي العشرة في المذكر نحو خمسة رجال ولم تدخل في المؤنث نحو: خمس نسوة قيل: إنما فعلوا ذلك للفرق بينهما فإن قيل فهلاّ عكسوا و كان الفرق حاصلا قيل لأربعة أوجه. الوجه الاول: أن الأصل في العدد أن يكون مؤنثا والأصل في المؤنث أن يكون بالهاء والمذكر هو الأصل فأخذ الأصل (الهاء) فتبقي المؤنث بغير هاء.

الوجه الثاني أن المذكر أخفّ من المؤنث فلما كان المذكر أخف من المؤنث احتمل الزيادة والمؤنث لما كان أثقل لم يحتمل الزيادة .

والوجه الثالث: أن الهاء زيدت للمبالغة كما زيدت في «علامة و نسابة» والمذكر أفضل من المؤنث، فكان اولي بزيادتها .

والوجه الرابع: إنهم لّما كانوا يجمعون ما كان علي مثال «فُعال» في المذكر، بالهاء نحو «غُراب واغربة» ويجمعون ما كان علي هذا المثال في المؤنث بغير هاء نحو:«عُقاب و أعقب» حملوا العدد علي الجمع، فأدخلوا الهاء في المذكر وأسقطوها في المؤنث، وكذلك حكمها بعد التركيب إلي العشرة، إلا العشرة فإنها تتغير لأنها تكون في حالة التركيب في المذكر بغير هاء والمؤنث بالهاء. لأنهم لّما ركبوا الآحاد مع العشرة صارت معها بمنزلة اسم واحد، كرهوا أن

يثبتوا الهاء في العشرة، لئلا يصير بمنزلة الجمع بين تأنيثين في اسم واحد علي لفظ واحد» (١) و هذا ابن فارس يصف الظاهرة فقط و لا نري في آراءه شيئا في تعليلها: «يقال إمرأة و امرأتان، وثلاث الي العشر بسقوط الهاء و في المذكر رجل و رجلان وثلاثة رجال، سقطت الهاء من المؤنث لأن المؤنث أثقل من المذكر فخفف بإسقاط الهاء ليعتدل الكلام» (٢)

والمثير للدهشة آراء ابن سيدة عندما يقول: «وما بعد الإثنين من أسماء العدد من ثلاثة إلي عشرة تلحقه تاء التأنيث إذا كان للمذكر لأن أصل العدد و أوله بالهاء و المذكر أوّل، فحملوه علي ما يحافظون عليه في كلامهم من المشاكلة، فتنزع منها الهاء إذا كان للمؤنث فيجري الإسم مجري عَناق وعُقاب ونحوهما من المؤنث الذي لا علامة فيه للتأنيث». (٣)

و نري ابن الحاجب أدق ملاحظة من غيره من النحاة الآخرين ذلك ان له رؤية اكثر دقة و عمقا حول قضية العدد و كيفية تطابقه او اختلافه مع المعدود لكنّه لا يشير الي اسباب هذا الاختلاف في الجنس: « إذا كان المعدود مؤنثا واللفظ مذكرا أو بالعكس فالوجهان، كقولك: ثلاثة شخوص ، إذا قصدت بالشخوص المؤنث فلك أن تقول ثلاثة شخوص نظرا الي المعني لأنه مؤنث وبالعكس ثلاثة أنفس وأنت تعني الذكور و ثلاث أنفس وأنت تعني المؤنث. فليس في الأول إلا إثبات التاء وليس في الثاني إلا حذفها.»(٤)

و من بين النحاة المعاصرين، قد اشار الدكتور رمضان عبد التواب الي هذه القضية ولم يتناول الاسباب فيها، إذ يقول في بعض كتبه: «ومن المعلوم أن الأعداد من الثلاثة الي العشرة تضاد المعدود في الجنس و هذه القاعدة سامية الأصل و هذا من أغرب خصائص اللغات السامية و بذل العلماء الجهد الشديد في حل مسألة أصلها و لم يوفقوا في ذلك». (٥)

هذا و اعرب ابراهيم بركات عن رأيه هكذا: «لماذا يأتي الجمع المكسر بالفعل والصفة المؤنثة؟ يعامل جمع تكسير في اللغة العربية معاملة المؤنث، يذكر الحميري: وكل جمع مكسر مؤنث لأنه فرع علي واحدة و يشترك فيه المذكر والمؤنث»(۶)

و قد راجعنا عدة من الكتب النحوية عدّة و ما عثرنا علي شئ في هذا الموضوع، و هذه الكتب كما يأتي:

«الكتاب» لسيبويه، و«الالفية» لإبن مالك، و«مغني اللبيب» لإبن هشام، و«البهجة المرضية» للسيوطي، و«الرد علي النحاة» لابن مضاء القرطبي، و«منهاج البلغاء وسراج الأدباء» للقرطاجني، و«احياء النحو» لابراهيم مصطفي، و«الإيضاح في علل النحو» للزجاجي، و «تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد» لابن مالك، و«اجتهادات لغوية» و«اللغة العربية معناها و مبناها» لتمام حسان و مع أنه قد تناول اسلوب القدماء و المحدثين في الدراسات اللغوية ولكن ما تطرق الي مثل هذه الظواهر في اللغة. وكذلك «معاني النحو» و«تحقيقات نحوية» و«الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري» و«ابن جني النحوي» لفاضل صالح السامرايي.

عن تاريخ اللغة العربية و نسبتها بالآرامية

هنا لانريد ان نطيل الكلام حول تاريخ اللغة العربية و تأثّرها بالآرامية اذ ان الباحثين، العرب منهم و المستشرقين، تفكروا حولها و اطالوا التفكير و جاؤوا بمعلومات غير قليلة عنها، منها آراء بروكلمان الذي يصرح ان «العرب لم يتخلصوا من تاثير جيرانهم و قد قامت في العصر الفارسي و كذلك في العصر الروماني حكومات عربية ذات حضارة آرامية و اللغة الآرامية ايضاً. و كل مفاهيم الحضارة تقريبا يدل عليها في العربية بكلمات آرامية»(۷)

و كتب الباحث الايراني الشهير حسن تقي زاده في احدي مقالاته حول نقش عمارة في حوران الشرقي و هو علي قبر امرئ القيس الشاعر المعروف، كتب أنه باللغة العربية الفصحي لكنه بالخط الآرامي و نري هذه الظاهرة في نقوش «زَبَد» العربية و السريانية و الإغريقية في جنوب شرقي حلب و نقش حران جنوب دمشق (٨). و يقول الباحث ان قومين عريقين متحضرين من العرب كانا قد امتزجا في الثقافة الآرامية، هما الانباط واهل تدمر، و كانت تدمر احدي المحطات التي تعبر عليها قوافل العرب التجارية للوصول الي الشام. و هناك قرية تيماء وسط شبه الجزيرة العربية و كان لها حضارة آرامية (٩).

تاريخ الخط العربي و الاخذ من السريانية

و من جوانب تأثر اللغة العربية بالآرامية هي قضية الخط العربي و نشأته، الذي كان متزامنا مع كتابة القرآن الكريم و رقيّ العلوم بمختلف انواعها في العصر الاسلامي و تدوينها. و المعلوم ان لغة العلم السائدة آنذاك كانت اللغة الآرامية و الخطوط السريانية بضروبها الغربية و الشرقية أي: الخط النسطوري الشرقي و الخط الاسطرنجيلي و السرتو الغربي و الخ.. و هذا هو الخط الذي استعملته الامبراطورية الاخمينية في الكتابة الديوانية و الادارية و هذا يحكي عن مدي سيطرة هذا الخط في غربي أسيا بدء من افغانستان حتي البحر المتوسط، فلا ضير من أن نقول انّ العرب ايضا اخذوا هذا الخط المسيطر و جعله قدوة لهم في اختراع خط جديد هو الخط الكوفي، وقد ورد في الاخبار ما يؤيد راينا. فنقرأ في تاريخ البلدان للبلاذري حيث يقول «حدثني عباس بن هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن ابيه، عن جده، و عن الشرقي بن القطامي قال: اجتمع ثلاثة نفر من طيئ ببقّة و هم مرامر بن مرّة و اسلم بن سدرة و عامر بن جدرة فوضعوا الخطّ و قاسوا هجاء العربية علي هجاء

السريانية فتعلّمه منهم قوم من أهل الانبار ثم تعلّمه أهل الحيرة من أهل الانبار و كان بشر بن عبد الملك اخو أُكيدِر بن عبد الملك بن عبد الجنّ الكندي ثم السكوني صاحب دومة الجندل يأتي الحيرة فيقيم بها الحين؛ و كان نصرانيا فتعلّم بشرُ الخطَّ العربي من اهل الحيرة، ثم أتي مكة في بعض شأنه فرآه سفيان بن أمية بن عبد شمس و ابو قيس بن مناف بن زهرة بن كلاب يكتب، فسألاه ان يعلّمهما الخطّ فعلّمهما الهجاء، ثم أراهما الخط فكتبا ثم ان بشرا و سفيان و ابا قيس أتوا الطائف في التجارة، فصحبهم غيلان بن سلمة الثقفي فتعلّم الخط منه عمرو بن زرارة بن عُدَس فسّمي عمرو الكاتب، ثم أتي بشر الشام، فتعلم الخط منه ناس هناك و تعلم الخط من الثلاثة الطائيين ايضا رجل من طابخة كلب فعلّمه رجلا من اهل وادي القري فأتي الوادي يتردّد فأقام بها و علّم الخط قوما من اهلها» (١٠).

ناهيك عن أن بروكلمان يتناول هذا الموضوع و يري ان للخط الآرامي اهمية كبري في الشرق و علي الاخص للخط السرياني، و انه قد اخذ العرب فيما بعد خطهم (اي السريان) من النبط و اوصلوه بدورهم الي كل الشعوب التي اعتنقت الاسلام (١١).

و يكتب القلقشندي فيؤكد علي ما سبق من القول:

«و عن ابن عباس رضي الله عنهما أن اول من وضع الحروف العربية ثلاثة رجال من بَولانَ، و بولان قبيلةٌ من طيئ، نزلوا مدينة الانبار، و هم مُرامِر بن مُرَّة و اسلم بن سِدرة و عامر بن جَدَرَة، اجتمعوا فوضعوا حروفا مقطّعة و موصولة، ثم قاسوها علي هجاء السريانية؛ اما مرامرُ فوضع الصّوَر، و اما اسلم ففصل و وصل، و اما عامر فوضع الاعجام؛ ثم نقل هذا العلم الي مكة و تعلّمه من تعلمه و كثر في الناس و تداولوه» (١٢).

اما الباحث المصري محمد حفني ناصف فهو يضيف الي هذه العملية الانتقالية شيئا جديدا معجبا اذ يتناول اصول الخط الآرامي الذي يضرب في الهيروغليفية و الفينيقية حتي يصل الي زمن امرئ القيس:

«اما الحلقة الاولي و هي الحروف المصرية و المعابد الفرعونية القديمة مشحونة بهذا الخط. و اما الحلقة الثانية و هي الحروف الفينيقية فنذكر منها اربعة اسطر من ضمن كتابة طويلة منقوشة علي ناوس الملك اسمونزارملك صيدا قبل ميلاد المسيح عليه السلام بنحو ٣٨٠ سنة. و اما الحلقة الثالثة و هي حروف المسند و الخط الآرامي و اما الحلقة الرابعة و هي الحروف النبطية و الكندية فثبت منها خمسة اسطر مكتوبة بالنبطية الحديثة علي قبر امرئ القيس بن عمرو من ملوك لخم سنة ٣٢٨ ميلادية» (١٣).

و الدكتور جواد علي يعبد الطريق امامنا لكي ندرك كيف عبر الخط مسيرة التاريخ حتي وصل الي العرب فكتبوا به القرآن الكريم:

«و يري بعض الباحثين أن القلم العربي قد أخذ من قلم بني إرم. و ذلك أن السريان الذين هم من بني إرم كانوا قد طوروا القلم الإرمي و كتبوا بقلمين: قلم قديم كتبت به الاناجيل و الكتب المقدسة... الذي هو الخط السطرنجيلي و قلم سهل ذو حروف مستديرة أي علي شكل اقواس، هو قلم النسخ. و قد عرف العرب القلمين و كتبوا بهما، فسمّوا السهل النسخ و الآخر الكوفي» (١٤). و ايضاحات الدكتور جواد علي تزيح الستار عن بعض الغموض الذي قد اكتنف طريقة الكتابة القرآنية بالخط الكوفي و كيفية رسم بعض الحروف و الهجاءات:

«... كما أخذ بقواعد من قواعد رسم الحروف في الاملاء موجودة في خط بني إرم، مثل قاعدة ربط او فصل الحروف عند تدوين الكلمة و قاعدة حذف الالف عند وقوعه في وسط الكلمة في رحمان و مساكين و يتامي و

مساجد و كتاب و ابراهيم و اسحاق و اسماعيل، فإنها كتبت في خط المصاحف بدون الف. و مثل حذف الف الفاعل و تفاعل في السريانية و في العربية ايضا، كما في بارك حيث كتبت (برك) في خط المصاحف، و مثل حذف الالف من ضمير الجمع المتكلم (نا) كما في (ارسلنك) و (اصطفينه) و (بشرنه) ...و حذف الف جمع المونث السالم في السريانية و في العربية، كما في (صدقت) و (طيبت) بدلا من صدقات و طيبات. و مثل حذف ياء المتكلم في السريانية و في القلم العربي القديم، كما في كتابة (يرب) في موضع (يا ربي) (١٥).

و في رأي المستشرق ليتمان الذي ينقله جواد علي، ايضا ما يؤيد فكرة اخذ العرب الخط من السريان او الآراميين:

«و يعتقد ليتمان انّ في النقوش الاثرية في الجزيرة العربية و جنوب حوران حروفا مشابهة لبعض حروف الخط الكوفي و قد كتبت بالإرمية (الآرامية) و مع ذلك فإنّ لها اهمية لوجود أسماء عربية فيها و لأنّ القبائل العربية الشمالية كانت تستعمل الإرمية في الكتابة» (١٦) ... وفي أغلب روايات اهل الاخبار ان الخط العربي الاول لم يكن مُشكلاً، و أن الشكل انما وجد في الاسلام. و كان موجده (ابا الاسود الدؤلي) المتوفي سنة ٦٩ للهجرة، فاستعمل النقط بدل الحركات، ثم ابدل (الخليل بن احمد الفراهيدي) النقط برموز اخري هي الفتحة و الكسرة و الضمة. و يري بعض الباحثين نقط ابي الاسود الدؤلي هو علي نحو النقط في الخط النسطوري السرياني، و يحتملون تعلمه قاعدة التنقيط منهم» (١٧).

و فيما يلي جدول نشاهد فيه حروف اللغة العربية القديمة و يمكننا قياسها و الحروف العربية السائدة الآن:

و في الجدول التالي يمكن القياس بين الحروف الهجائية للغة العربية الحديثة و الحروف الهجائية للخط السرياني الغربي:

Aramaic - Syriac		Arabic	
Letter	Estrangela	Letter	Name
Alaph	ܐ	ا	Alef
Beth	ܒ	ب	Beh
Gamal	ܓ	ج	Jeem
Dalath	ܕ	د	Dal
He	ܗ	ه	Heh
Waw	ܘ	و	Waw
Zain	ܙ	ز	Zain
Heth	ܚ	ح	Hah
Teth	ܛ	ط	Tah
Yudh	ܝ	ي	Yeh
Kaph	ܟ	ك	Kaf
Lamadh	ܠ	ل	Lam
Mim	ܡ	م	Mim
Nun	ܢ	ن	Noon
Semkath	ܣ	س	Seen
Ayin	ܥ	ع	Ain
Pe	ܦ	ف	Feh
Sadhe	ܨ	ص	Sad
Qaph	ܩ	ق	Qaf
Rish	ܪ	ر	Reh
Shin	ܫ	ش	Sheen
Taw	ܬ	ت	Teh

و تاليا نري الحروف الهجائية للخط الآرامي النسطوري:
[illegible]

و تعادل علي الترتيب:

واو، كاف، لام، هاء، باء، ياء، الالف، خاء، زاي، دال، جيم، طاء، راء، شين، ميم، نون، فاء، قاف، صاد، عين

اذا نظرنا الي الحروف الهجائية للخط الكوفي الذي اوردناه في الاسفل نظرة عابرة و نقارن بينه و بين الخط النسطوري ندرك مدي التقارب و الشبه بينها:

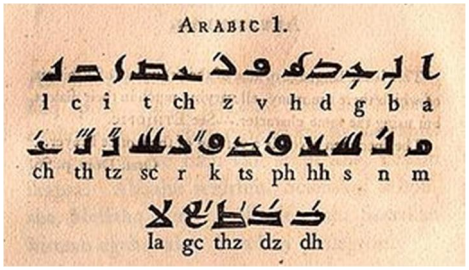

و عندما نقارن بين الحروف النسطوري و بين الحروف الهجائية للخط الكوفي الذي كتب به المصاحف الشريفة القديمة نكشف عن الشبه العظيم بين هذا التراث الاسلامي و جذورها في اللغات السامية.

و بعد هذه المقدمات اللازمة نصل الي الاشكالية التي نحن بصددها و هي قضية الجنس في العدد و المعدود و دور الخط العربي فيها. ايها القارئ الكريم هنا نريد منك النظر مليا في الجدول الآتي و مقارنة كيفية كتابة الاعداد بالخط العربي و اللغة العربية و الخط النسطوري/ الآرامي (١٨):[illegible]

المذكر	المذكر	المونث	المونث
[illegible]	ثلاثة	[illegible]	ثلاث
[illegible]	اربعة	[illegible]	اربع
[illegible]	خمسة	[illegible]	خمس
[illegible]	ستة	[illegible]	ست
[illegible]	سبعة	[illegible]	سبع
[illegible]	ثمانية	[illegible]	ثماني
[illegible]	تسعة	[illegible]	تسع
[illegible]	عشرة	[illegible]	عشر

فكما نري في الجدول اعلاه، و بالاستفادة من المعلومات المقدمة في الفقرات السابقة من البحث، كانت الالف في اللغة الآرامية تكتب بصورة تشبه «ـة» العربية و اذا نقارن بين الاعداد العربية و الآرامية نتعجب من انّ الاعداد المذكرة تكتب بالف في آخرها و الاعداد المؤنثة خالية عنه و تعادل هذه الاعداد الآرامية أعدادا عربية مع «ـة»، كما ان طريقة اداء هذه الالفاظ تشبه اخواتها العربية اذ انّ الاعداد الآرامية المذكرة تختم بصوت «آ» فعلي سبيل المثال تلفظ عدد الثلاثة الآرامية: تلاتا، و الأربعة: آربعا بسكون الراء و الباء. ايضا الاعداد المؤنثة تلفظ بالسكون في آخرها: الثلاث: تلات و الاربع: آرباع.

كما نعرف ان هناك فرقاً بين العدد العربي و الآرامي من جهة الجنس اذ ان النحاة في اللغة العربية يعدّون الاعداد مثل الثلاثة و الاربعة و الخمسة الخ. اعدادا مؤنثة تستعمل للفظ المذكر ولكن نلاحظ في الآرامية انّ اعدادا مثل ?????? و ?????? و ?????? تعدّ اعدادا مذكرة (١٩). اذ ان في اللغة الآرامية تختم كل الاسماء، منها الاعداد، بالالف و تعتبر هذه الاسماء مذكرة اللهم الا اذا تضاف اليها علامة التأنيث، اما في بحثنا هذا و لتحويل هذه الاعداد المذكرة الي اعداد مؤنثة، تحذف الالف من نهاية الكلمة و حذفُ الالف الختامي بمثابة تبديل المذكر الي المؤنث. و يري كاتبا هذا البحث ان روّاد الخط العربي في بداية العصر الاسلامي حاكوا شكل الحروف و الكلمات ايضا و كيفية الكتابة العربية بمساعدة القواعد السائدة في الخط الآرامي و لهذا مثلا حذفوا الالف في وسط الكلمات القرآنية كـ «الجنّت» و «بشّرنه» و «الرحمن» او ابقوها كسابقها مثل الالف التي تكتب في آخر صيغة الجمع الغائب المذكر للماضي كـ «ذهبوا»، ثم بدأ النحويون التنظير لها حول سبب حذف الالف و ظهورها، كما فعلوا في قضيتنا قضية مغايرة العدد و المعدود في الجنس.

فبالتالي نري العدد العربي و الآرامي مشابهان لفظا ولكن النحويين الذين كان غالبيتهم من الايرانيين البعيدين عن الثقافة العربية السائدة في البلاد العربية آنذاك و عرفوا العربية من القرآن الكريم، رأوا هذه الاعداد المختومة بالتاء مؤنثة. و السؤال الذي يمكن ان يطرح هنا: ما هاتان النقطتان التي توضع علي الـ «ه» التي ندعي بانها الالف اصلا؟ و كيف دخل في الخط العربي؟

اذا نظرنا الي قواعد المفرد و الجمع في اللغة الآرامية نجد اللفظ المفرد يتبدل الي الجمع بهاتين النقتطين:

(مفرد)

(جمع)

هذه كلمة «دقيقة» بالخط الآرامي. و بغضّ النظر عن مشابهته لنفس الكلمة بالخط العربي و الكوفي الذي كان يكتب معجما، يجب القول ان علامة الجمع تتراءي في اللفظ الثاني وهي النقطتان الزائدتان قبل الالف الختامي. هذان اللفظان مذكران في اللغة الآرامية و طبعا تستعمل معهما العدد المذكر:

(دقائق اربعة = اربع دقائق)

و اذا كانت الكلمة مونثة تدخل العدد دون الالف الختامي الذي يبدو و كأنه تاء التأنيث:

(بنات اربع = اربعة بنات)

فنري ان الكلمتين اللتين وردتا آنفاً مذكرتان. اما اذا نظرنا اليهما بمنظار اللغة العربية و قواعدها الصرفية فإننا نري لفظين مونثين!

و ختاما علينا ان ننقل كلام احد الباحثين الغربيين حول مدي الاختلاط و الربط بين العربية و الآرامية و الذي يضع النقاط علي الحروف في سبيل البحوث المتعلقة باللغة و الثقافة و الحضارة العربية و الاسلامية:

«إن الآراميين هم جزء من الشعوب السامية المدينية و شبه البدوية في سوريا و جنوبي بلاد ما بين البحرين الذين عاشوا في عصر الألف الثاني قبل الميلاد و هم الورثة الشرعيين لكل الحضارات التي تتالي وجودها في هذه المنطقة من العالم و بكلمة واحدة هم يمثلون استمرارية الثقافة القديمة.

من ناحية أخري فإن العرب يمثلون العنصر المتحرك و الابتداع الاجتماعي لشعب سامٍ عاش في شمال غربي شبه الجزيرة العربية و الذين تبنّوا في احد الاوقات نظام تربية الابل كمحور اقتصادي اول له وحوّلوا هذا النظام الاقتصادي تمحورت كل ثقافته فكان شعبا دائم الحركة يتعذر علي أي قوة سياسية خارجية ان تحرمه من استقلاله. و عندما بدا الزمان صالحا لتوحيد العرب سياسيا و دينيا اختلطت حركيتهم السياسية بالتراث الثقافي الآرامي.

و من خلال التداخل و الاندماج بين العالم العربي و العالم الآرامي كما يتمثل من خلال الكتابة العربية المستمدة من الابجدية النبطية الآرامية يجب علينا أن نبحث عن جذور الحضارة الاسلامية» (٢٠).

حصاد البحث

رأينا ان قضية العدد في اللغة العربية و موضوع الجنس فيه و اللذان جعلا النحاة حياري طوال تاريخ هذه اللغة العريقة ترتبط ارتباطا وثيقا بقضية الخط العربي و الخط النسطوري و السرياني و لايمكن حل هذه الاشكالية الا بقراءة هذ التاريخ اولاً و اذا نظرنا الي كيفية نشأة الخط العربي نتيقن ان هذه التعقيدات و التناقضات في قضية العدد، التي لايوجد في أي لغة اخري في العالم، لاترتبط اساسا بالقضايا النحوية و نري أن هذه الاخطاء النحوية تتجذر في كيفية الاستدلالات النحوية و أن النحاة كانوا من غير العرب بعامتهم فما عايشوا و حياة اللغة وما كانوا عارفين بثقافة اللغة العربية وجذورها. فعلي اساس ما قلنا، اننا نعتقد أن هذه الظاهرة اللغوية كانت

موجودة في التحاور العربي و محادثات العادية و السائدة آنذاك و العرب تستعمل بصورة عامة هذه الظاهرة اللغوية، أي استعمال علامة التانيث مع معدود العدد المذكر و العكس، وطبعا لا يفكر في سبب هذا الاستعمال كباقي اللظواهر اللغوية التي تتداول بين الناس العاديين، لكن عندما انصرف النحاة الي تدوين القضايا و القواعد النحوية اعتبروا الظاهرة هذه من قبيل الجنس و عدّوا التاء، تاء التانيث، بيد اننا نري ان هذه التاء لا يمكن ان يكون علامة تانيث بل علامة جمع في الآرامية دخلت في كلام العرب. وحري بنا ان ندري ان هذا غيض من فيض آراء النحاة العجيبة و المعجبة حول قضايا النحو و كثير من آرائهم غير المقنعة او الغامضة تعود الي عدم المامهم باللغات السامية و تاريخ اللغة العربية، فبداية تغيير البحث النحوي المعاصر يمكن ان يكون من خلال تصحيح آرائنا و موقفنا من النحو، و ربما تكون المعرفة بتاريخ اللغة و تاريخ تطورها الخطوة الاولي في هذا المضمار.

هوامش البحث

(١) اس‌رار العربية: ص٢١٨-٢١٩.
(٢) المذكر والمؤنث: ص ٤٨.
(٣) المخصص: ص٩٨ – ٩٩.
(٤) امالي: ص ١٠١.
(٥) التطور النحوي للغة العربية: ص١٠٦.
(٦) التأنيث في اللغة العربية: ص٩٩.
(٧) فقه اللغات السامية: ص٢٨- ٢٩.
(٨) تاريخ عربستان و قوم عرب: ص٧٩.
(٩) نفس المصدر.
(١٠) فتوح البلدان: ص٦٥٩-٦٦٠.
(١١) فقه اللغات السامية: ص٣٧.
(١٢) صبح الاعشي: ١٩١٤، ج٣، ص١٢.

(١٣) حياة اللغة العربية: ص٧٢-٧٤.
(١٤) المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام: ج٨، ص١٧٣.
(١٥) نفس المصدر.
(١٦) نفس المصدر: ص١٧٥.
(١٧) نفس المصدر: ص١٩٠.
(١٨) راجع: الاصول الجلية في نحو اللغة الآرامية: صص ١٢٥- ١٢٦.
(١٩) المصدر نفسه.
(٢٠) العرب و الآراميون قبل الاسلام و بداية تكون اللغة العربية: ص٢١٨.

قائمة المصادر و المراجع

- القرآن الكريم

١)ابن الأنباري، محمدد بن القاسم، اسرار العربية، محقق :محمد بهجة البيطار، المجمع العلمي العربي،دمشق ،١٩٥٧.
٢)ابن حاجب، ابو عمرو عثمان، امالي، بيروت، دار الجيل، دون تاريخ.
٣)إبن سيدة، علي بن اسماعيل ابو الحسن، المخصص، مكتبة بولاق، ١٣٢٩هـ ق.
٤)ابن مالك، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، دار الكاتب العربي، بيروت، ١٩٦٧.
٥)ابن فارس، احمد ابو الحسين، المذكر والمؤنث، حققه: الدكتور رمضان عبد التواب، القاهرة ١٩٦٩.
٦)برجشتراسر، غوتهولف، التطور النحوي للغة العربية، تحقيق رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٢٩.
٧)بركات، ابراهيم، التأنيث في اللغة العربية، دار الوفاء، القاهرة، ١٤٠٨.
٨)بروكلمان، كارل، فقه اللغات السامية، ترجمة رمضان عبد التواب، الرياض، جامعة الرياض،١٩٧٧.
٩)البلاذري، ابو العباس احمد بن يحيي جابر، فتوح البلدان، مؤسسة المعاف للطباعة و النشر، بيروت، ١٩٨٧.
١٠) بيناشييتي، فابريزيو. أ، العرب و الآراميون قبل الاسلام و بداية تكون اللغة العربية، مترجم: عماد أبوسعد،مجلة الفكر العربي، العدد٦٠، ١٩٩٠، صص٢١٨-٢١١

١١) تقي زاده، حسن، تاريخ عربستان و قوم عرب، زير نظر ايرج افشار، تهران، نشر توس، ١٣٩٣.
١٢) الزجاجي، ابو القاسم، الإيضاح في علل النحو، دار النفائس، بيروت، ١٩٧٩.
١٣) السامرائي، فاضل صالح، الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري، مكتبة الإرشاد، بغداد، ١٣٧٦ق
١٤) علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، جامعة بغداد، ١٩٩٣.
١٥) القرطبي، ابن مضاء، الرد علي النحاة، تحقيق شوقي ضيف، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٤٧.
١٦) القرطاجني، ابو الحسن حازم، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تونس، دار الكتب الشرقية، ١٩٦٦.
١٧) القلقشندي، ابو العباس احمد، صبح الاعشي في صناعة الانشاء، دار الكتب الخديوية، القاهرة، ١٩١٤.
١٨) مصطفي، ابراهيم، احياء النحو، القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة، ٢٠١٢.
١٩) منّا، أوجين، الاصول الجلية في نحو اللغة الآرامية، منشورات مركز بابل، بيروت، ١٩٧٥.
٢٠) ناصف، حفني، حياة اللغة العربية، مطبعة الجريدة، القاهرة، ١٩١٠.